عوامل التغير الدلالي في اللغة العربية بين القديم والحديث

The Causes of Semantic Change in the Arabic Language: Past and Present

Faktor-faktor Perubahan Makna dalam Bahasa Arab: Antara Dulu dan Kini

محمد باخير الحاج عبد الله*

مستخلص البحث

دلالة الألفاظ وما يعتريها من تغير وتطور في دلالاتها من أهم قضايا الدراسات اللغوية الحديثة، بل إنها أصبحت فرعًا علميًّا بذاته في عصرنا. وتنبع أهمية الدلالة والتغير الدلالي من أثرهما الكبير في مساقات التعبير عن المواقف والأفكار وفي كيفيات التواصل والتفاهم بين الناس، مما يخضع لاعتبارات مختلقة بحيث لا يحصل ذلك التواصل والتفاهم على أفضل الوجوه من دون أخذها بعين الاعتبار. وقد اجتهد العلماء القدامى والمحدثون في رصد العوامل المختلفة التي تؤثر في دلالات الألفاظ إفرادًا وتركيبًا، مقالاً ومقامًا، مما لا بد لدارس اللغة أو الساعي إلى تعلمها من إدراكه والتفطن إليه. وتتأكد أهمية هذه الاعتبارات بخصوص اللغة العربية التي تحتل مكانة خاصة بالنسبة للإنسان المسلم تتجاوز مجرد كونها وسيلة للتواصل بين مجموعات معينة من البشر إلى كونها حاملاً للوحي القرآني وخطاب الخالق سبحانه إلى العباد. في ضوء ذلك كله يسعى هذا البحث إلى النظر في عوامل التغير الدلالي في هذه اللغة الكريمة ورصدها وتحليلها بالاستفادة من إسهامات علماء العربية الأقدمين وإسهامات الباحثين اللغويين في العصر الحديث، آملاً في أن يكون ذلك عونًا لمن يرغب في تعليمها وتعلمها على بلوغ غايته.

الكلمات الأساسية: اللغة العربية، الألفاظ، الدلالة، التغير الدلالي، عوامل التغير الدلالي.

---

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الاسلامية العالمية- ماليزيا، البريد الإلكتروني: bakhir@iium.edu.my

Abstract

The significance of words and the semantic change affecting them are among the important issues in modern linguistic studies. Indeed, this has become an independent branch of scientific study in our time. The importance of semantics and semantic change stems from their influence on the modes of expression of positions and ideas and the ways of communication and understanding among human beings. This is subject to different considerations that have to be taken into account if such communication and understanding are to take place in the best possible manner. Scholars both in the past and in the modern era have endeavoured to identify the different factors of semantic change affecting words as such and in composition as well as in textual and situational contexts. These factors are such that no teacher or learner of language can avail not knowing and being aware of. The importance of these considerations is further emphasized in the case of the Arabic language whose standing and position transcends its being a mere means of communication among certain people to be the vehicle of the Qur'anic revelation and of God's Word to mankind. In light of the above, this article attempts to look into the factors of semantic change in Arabic by identifying and analyzing them based on the contributions of classical scholars of Arabic and the studies of modern linguists. It is hoped that effort will be of help for both teachers and learners of the Arabic language to achieve their goals.

Key terms: Arabic language, words, significance, semantics, semantic change, factors of semantic change.

Abstrak

Perubahan makna pada kata-kata dan perubahan semantik yang mempengaruhinya adalah antara isu-isu penting dalam kajian linguistik moden. Memang, hal ini telah menjadi cabang kajian ilmiah tersendiri di zaman sekarang. Pentingnya semantik dan perubahannya berasal dari pengaruhnya pada cara berekspresi kedudukan dan idea-idea dan cara komunikasi dan pengertian di antara manusia. Hal ini tertakluk pada pertimbangan dalam ekspresi sikap, idea-idea dan cara komunikasi dan pemahaman antara setiap orang. Cendekiawan baik di masa lalu dan di era moden telah berusaha untuk mengenal pasti faktor yang berbeza yang mempengaruhi perubahan semantik kata-kata seperti itu dan dalam komposisi serta dalam konteks perkataan dan situasional. Faktor-faktor ini sedemikian rupa sehingga tidak ada guru atau pelajar bahasa yang tidak tahu dan menyedari. Pentingnya kajian ini juga disebabkan Bahasa Arab telah menduduki tempat khusus bagi orang muslim dari sekadar menjadi sarana komunikasi antara sesama, tetapi juga untuk menjadi sarana memahami wahyu Al-Qur'an dan surat dari Tuhan kepada manusia. Maka tulisan ini mencuba untuk melihat ke dalam faktor-faktor perubahan semantik dalam bahasa Arab dengan mengenalpasti dan menganalisis mereka berdasarkan sumbangan dari ulama klasik Arab dan kajian dari ahli bahasa moden. Diharapkan bahawa usaha ini akan membantu para pengajar dan pelajar bahasa Arab untuk mencapai tujuan mereka.

Kata kunci: Bahasa Arab, kata-kata, makna, semantik, perubahan semantik, faktor perubahan semantik.

مقدمة

إن لظاهرة التغير الدلالي في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية، الأمر الذي دعا الباحثين إلى استجلاء صور هذا التغير وتحديد أسبابه. وتحاول هذه الدراسة أن تنظر في هذه الظاهرة من خلال المزاوجة بين آراء اللغويين المحدثين وعلماء العربية القدامى في نطاق فهم المعنى ضمن الكلمة أو الجملة أو التراكيب. ولما كانت العربية لغة عالمية، تبوأت مكانتها العظمى في المجتمع الإنساني العالمي من خلال الناطقين بها بوصفها لغتهم الأم والمتعلمين لها لدوافع متعددة أهمها الدافع العقدي الديني لكونها لغة القرآن والمصادر الأساسية لتعاليم الإسلام، بحيث أصبحت تحتل المرتبة السابعة بين لغات العالم[1]، فإن دراسة ظاهرة التغير الدلالي في هذه اللغة أمر ضروري لا محالة.

إن الاهتمام بهذه الظاهرة ليس أمراً جديداً ولا هو مقتصر على اللغة العربية، بل نجد أن كثيرًا من العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية كفرنسا وألمانيا وبريطانيا مثلاً قد بذلوا جهودًا كبيرة في رصد هذه الظاهرة وتحديد العوامل المؤثرة فيها خلال القرن العشرين[2]. ومن المعلوم أن كل كلمة أو لفظة لها دلالات متنوعة وصور استعمالية مختلفة حسب سياقاتها وعلاقاتها بغيرها من الكلمات في الجمل والبيئة اللغوية والاجتماعية، بحيث قد تؤدي الكلمة أو اللفظة دلالة أو معنى مختلفًا وربما مناقضًا لدلالتها الأصليها التي لها باهتبار الوضع، وذلك بسبب التطور اللغوي الذي يحصل نتيجة عوامل اجتماعية وثقافية وعلمية وحضارية.

ويسعى الباحث في هذه الدراسة إلى أنواع الدلالة وأسباب التغير الدلالي بغية التعرف على أيسر السبل لإدراك معاني الكلمات من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى، خاصة في

---

[1] حجازي، محمود فهمي، **الأسس اللغوية لعلم المصطلح** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1992)، ص18.

[2] صيني، محمود إسماعيل، **التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء** (الرياض: جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ط1، 1982)، في مقدمة الكتاب.

القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكلام العرب، وتمييو بعضها عن بعض. ويعتقد الباحث أن مثل هذه الدراسة قد توفر للمهتمين بالترجمة من العربية إلى الملايوية بصورة خاصة إطارًا مناسبًا للتعامل مع القضايا والمشكلات التي عادة ما تواجه عملية الترجمة.

معنى كلمة الدلالة

تنطوي لفظة "دلالة" على عدة معان؛ قال ابن فارس في مادة "دلّ" من باب الدال وما بعدها في المضاعف والمطابق: "الدال واللام أصلان، أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء[1]." ويهمنا من كلامه الأصل الأول الذي منه اشتق لفظ الدِّلالة (بكسر الدال)، ومنه الدليل: أي ما يُستدل به، ومنه قولهم: بيِّن الدلالة، أي واضحها.[2] وقال ابن منظور: "والدليل ما يُستدلبه، والدليل: الدال. وقد دله على الطريق، يدله دَلالة ودِلالة... والدليل والدِّلِّيلَى: الذي يدلك[3]."

وقال الراغب الأصفهاني: "الدِّلالة ما يُتوصَّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن كمَن يرى حركةَ إنسان فيعلم أنه حيٌّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ (سبأ: 14)." ثم قال: "أصل الدلالة مصدر كالكتابة والأمارة...، ثم يُسمى الدالُّ والدليلُ دِلالة كتسمية الشيء بمصدره[4]." ويندرج في هذا التحديد لمعنى لفظة "دلالة" قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (الفرقان:

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001/1422)، ص330.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، ص248-249.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق وتقديم عبد الله علي الكبير وزميليه (القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ)، باب الدال، ج2، ص1414.

[4] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ)، ص171.

45)، وقوله عز وجل: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ﴾ (القصص: 12)، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ (الصف: 10)، ومنه قول الرسول عليه السلام: «الدال على الخير كفاعله[1].» وقوله ﷺ: «من دل على خير فله مثلُ أجر فاعله[2].» وفي ضوء ما سبق فالدلالة في معناها العام تعني الإرشاد والهداية في أمر ما أو إليه، سواء كان ذلك باللغة أو بغيرها.

أما في الاصطلاح فيراد بالدلالة وجوه أداء الألفاظ للمعاني والتعبير عنها، وهو ما من أجله نشأ علم خاص هو "علم الدلالة" (Semantics) الذي تفرع عن الدراسات اللغوية الحديثة بوصفه بحثًا مختصًّا بالدلالات في الألفاظ وما يعتريها من تطور ويتحكم فيها من عوامل وينضوي فيها من أنواع. وقد كان العالم الفرنسي بريل أول من أفرد هذا النوع من الدراسة بتأليف خاص في كتابه "بحث في الدلالة" في أواخر القرن التاسع عشر[3]. والحقيقة لم يكن البحث في مسائل دلالة الألفاظ وأنواعها وعوارضها لينتظر هذا التاريخ المتأخر ليحصل الاهتمام به، بل يمكن القول إنه أمر قديم قدم تفكير البشر في اللغة بوصفها أداة التواصل والتفاهم بينهم. وقد ظهر الاهتمام بقضايا الدلالة في الحضارة الإسلامية منذ وقت مبكر من تطور المعارف والعلوم فيها، فتظافر على البحث فيها بصورة خاصة علماء اللغة وعلماء الأصول والفلاسفة[4].

---

[1] رواه البزار. االبرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ضبط وتصحيح بكري حيّاني وصفوة السقا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 1985/1405)،"باب السخاء في الصدقة"، الحديث 16052، ج6، ص359.

[2] رواه مسلم وغيره. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003/1424)، "كتاب السير"، الحديث 17843-14844، ج9، ص48-49.

[3] أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984)، ص7.

[4] انظر في ذلك مثلاً: عمر، أحمد مختار، **علم الدلالة** (القاهرة: عالم الكتب، ط5، 1998)، ص20-21؛ عبد الجليل، منقور، **علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي** (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2001)، ص64-

أنواع الدلالة وأقسامها

اختلف العلماء المسلمون في تحديد أنواع الدلالة وأقسامها حسب الزاوية التي ينظرون منها إليها وحسب المجال المعرفي الذي ينتمون إليها، بل إن الخلاف في ذلك قد يوجد بين المنتمين إلى نفس المجال المعرفي كعلماء اللغة مثلا. فقد استقصى بعضهم ستة أنواع للدلالة هي: الدلالة الوضعية، والدلالة الصرفية، والدلالة الصوتية، والدلالة المعجمية الاجتماعية، والدلالة النحوية، والدلالة العقلية (بفروعها)[1]. وحصرها إبراهيم أنيس في أربعة فقط، هي الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية أو الاجتماعية[2]. ووافقه الداية في العدد، ولكن خالفه في المعدود حيث قال بالدلالة السياقية عوض الدلالة الصوتية[3].

ويميل الباحث إلى القول بأنواع ثمانية للدلالة، وهو ما نحاول بيانه فيما ياتي.

النوع الأول: الدلالة الصوتية، وهي المستفادة من طبيعة بعض الأصوات، فالخاء من تنضخ مثلاً جعلتها تدل على دوران السائل في ضده وعنفه وعلى السائل تعبر دوران الماء في البطء، وربما أيضاً كلمة هدهد في القرآن الكريم مأخوذة من الصوت.

النوع الثاني: الدلالة الصرفية، وهي المستفادة من بنية الكلمة وصيغتها الصرفية، فكلمة "غفور" مثلاً تدل على الاتصاف بكثرة الغفران، بخلاف "غافر" التي تدل على الاتصاف بالغفران من غير مبالغة فيه.

النوع الثالث: الدلالة اللغوية، وهو المعنى المستفاد من ترتيب العبارة ويتوقف عليه وضوح دلالتها، بحيث لو اختل هذا الترتيب لم يفهم المراد منها، كقولنا: "كريم أسرة هذا البيت جميل فيه وتسكن"، فإذا تأملنا هذا الكلام أمكننا فهم معاني الألفاظ الواردة فيه كل منها على حدة،

69؛ عبد العبُّود، جاسم محمد، **مصطلحات الدلالة العربية: دراسة في ضوء علم اللغة الحديث** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007/1428)، ص41-50.

[1] وهبة، مجدي والمهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** (بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984)، ص95.

[2] أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980)، ص169-170.

[3] الداية، فايز، **علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق** (دمشق: دار الفكر، ط 5، 2006/1427)، ص20.

ولكن لا نستطيع أن ندرك لها مجتمعةً أي معنى محدد بسبب عدم جرياها وترتيبها حسب القواعد النحوية المستقرة. فإذا رتبنا تلك الألفاظ ترتيباً نحويًّا صحيحًا أصبح لها معنى واضح، كأن نقول: "هذا البيت الجميل تسكن فيه أسرة كريمة" تصبح الجملة مفهومة.

النوع الرابع: الدلالة المعجمية والاجتماعية، وهو المعنى المستعمل في المعاجم اللغوية أو أثناء التخاطب، فلفظ "غفور" يدل على الوصف بالغفران، غير أن هذه الصيغة الصرفية تزيد معنى إضافي وهو الكثرة والمبالغة.

النوع الخامس: المعنى العقلي، وهو المعنى المستفاد عن طريق التحليل العقلي داخل الجملة الواحدة كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ (الأعراف: 19) ومن باب التحليل العقلي هنا أن كلمة "اسكن أنت" بمعنى آدم عليه السلام، وأما "زوجك"، فمعناها حواء زوجته عليهما السلام، إذ نجد أن لفظ "زوج" جاء في الآية المذكورة للدلالة على المشاركة بين الرجل والمرأة.

النوع السادس: المعنى اللفظي وهو يكون جزءاً من المفهوم، كدلالة البيت على السقف وتسمى دلالة التضمن والآخر دلالة اللفظ على ما يكون خارجاً عن مفهوم لفظ السقف على الحائط؛ لأن وجود السقف سيلزم وجود الحائط وتسمى دلالة التزام.

النوع السابع: المعنى الوضعي: وتسمى الدلالة اللغوية أو دلالة المطابقة، وهي دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعية لها، كدلالة السماء والأرض والمطر على مسمياها.

النوع الثامن: المعنى الأسلوبي، المراد به استخدام الكلمة في صورة ملائمة لكلمات أخرى؛ لأنها مقبولة في العربية من حيث اللغة والنحو والصرف، أي أن هناك تناسبًا واتساقًا في استعمال الألفاظ للتعبير بها عن المعاني. وهذا ما ذهب إليه العالم الأمريكي بلومفيلد Leonard Bloomfield حيث أكد أنه يجب علينا "أن نبدأ دراسة أية اللغة ببحث عن الصيغ لا ببحث عن الدلالات[1]."

---

[1] نقلاً عن: فضل، صلاح، **علم الأسلوب، مبادئه واجراءاته** (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1992)، ص166.

كيفية تحديد معنى الكلمة

ذكر بعض اللغويين المحدثين أن معنى الكلمة ينبع من ثلاثة عناصر مختلفة: الرمز، والشيء، والتصور، وأنه أنه لا توجد علاقة مباشرة أو لازمة بين الكلمة أو الرمز أو الشيء أو الموضوع، وإنما هذه العلاقة علاقة غير مباشرة وهي علاقة اصطلاحية أو اعتباطية أو اختيارية.[1] وهذا التصور نجد أن للكلمة جانبين: **أولهما**: الصيغة الذي يرتبط بوظيفتها الرمزية أو الإشارية، **وثانيهما**: المحتوى الذي يربط بالمفهوم أو المعنى. وهذه الطبيعة المزدوجة للكلمة تعود إلى رأي دي سوسير الذي شبه الكلمة بقطعة الورق ذات الوجهين، فكما لا يمكنك أن تفصل أحد الوجهين عن الآخر، كذلك لا يمكن أن تفصل جانبي الكلمة أو الرمز أحدهما عن الآخر؛ لأنهما مرتبطان ارتباطاً كما في وجهي الورقة.

وقد اختلف اللغويون في تحديد دلالة الكلمة ومعناها، فهناك من يرى أن دلالتها هي ما تشير إليه، وهذا الرأي في الحقيقة ليقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين من المثلث، هما جانب الرمز والمشار إليه. وهناك من يرى أن معنى الكلمة هو العلاقة بين الكلمة ومفهومها في الذهن، وبناء على ذلك يجب دراسة الجوانب الثلاثة للوصول إلى الشيء أو المشار إليه أو المدلول عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية. ويذهب أصحاب هذا الرأي الذي لقى قبولاً لدى كثير من اللغويين إلى أن ماهية الرمز والعلامة بالكلمة لا نجدها في الصلة أو في العلاقة بين الأسماء والسمات، بل في علاقة الرمز أو الكلمة كصورة سمعية ومفهومها في الذهن، وانطباق المفهوم على الصورة السمعية هو الذي يكون الرمز أو العلامة اللغوية، وإلا كانت سلسلة جانبية من الأصوات. لهذا فالعلاقة بينهما ليست علاقة اعتباطية بل تبادلية؛ لأن إحداهما تستدعي الأخرى.

وعلى هذا، فإن المعنى عند معظم اللغويين المحدثين يرتبط بمفهومنا عن الشيء أو تصورنا له لا بالشيء نفسه. وهذا ما ذهب إليه علماء أصول الفقه المسلمون الذين

[1] عمر، **علم الدلالة**، ص54.

تناولوا قضية المعنى والدلالة في أبحاثهم الأصولية، وهو ما عبر عنه الفخر الرازي (تـــ. 606هـــ) حيث يقول: "البحث الثالث: في أن الألفاظ ما وضعت للدلالة على الموجودات الخارجية بل وضعت للدلالة على المعاني الذهنية. والدليل عليه: لإاما في الألفاظ المفردة فلأنا إذا رأينا جسمًا من بعيد، وظنناه صخرة، سميناه بهذا الاسم. فإذا دنونا نمنه وعرفنا أنه حيوان، لكنا ظنناه طيرًا، سميناه به. فإذا ازداد القرب وعرفنا أنه ، سميناه به. فاختلاف الأسامي عند اختلاف الصور الذهنية، يدل على أن اللفظ لا دلالة له إلا عليها[1]." وكان الأصوليون لهم آراء خاصة في تحديد معنى الكلمة، كما قسموا الصيغ إلى العموم والخصوص منها: الجمع المعرف بال في مثل كلمة الرجال، والجمع المذكر في مثل كلمة رجال، والاسم المفرد المعرف بأل في مثل السارق والسارقة، واسم الجنس إذا دخلت عليه (ال) كلفظ الحيوان.

وأما صيغ الخصوص فقد قسمها الأصوليون إلى خصوص عين في مثل كلمة محمد، وخصوص نوع في مثل كلمة إنسان، وخصوص جنس في مثل كلمة حيوان[2]. وأما اللفظ المطلق فهو اللفظ الدال على الحقيقة نحو الرجل خير من المرأة ، كقوله تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ (النساء: 34)، و"السماء فوق رؤوسنا"، و"الأرض تحت أرجلنا"، و"الشمس تطلع من المشرق"، فهذه الجمل تشير إلى المعاني المطلقة. أما اللفظ الدال على الماهية فمقيد بوصف أو شرط أو غاية. ومثال التقييد بالوصف قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ﴾ (النساء: 92). ومثال التقييد بالشرط قوله تعالى ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ (البقرة: 196). ومثال التقييد بالغاية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ

[1] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، **المحصول في علم الأصول**، تحقيق طه جابر فياض العلواني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1992/1412)، ج1، ص200-201.

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى من علم الأصول** (قم: منشورات الشريف الرضي، ط2، 1322هـ)، ج1، ص293.

تناولوا قضية المعنى والدلالة في أبحاثهم الأصولية، وهو ما عبر عنه الفخر الرازي (تـــ. 606هـــ) حيث يقول: "البحث الثالث: في أن الألفاظ ما وضعت للدلالة على الموجودات الخارجية بل وضعت للدلالة على المعاني الذهنية. والدليل عليه: لإاما في الألفاظ المفردة فلأنا إذا رأينا جسمًا من بعيد، وظنناه صخرة، سميناه بهذا الاسم. فإذا دنونا نمنه وعرفنا أنه حيوان، لكنا ظنناه طيرًا، سميناه به. فإذا ازداد القرب وعرفنا أنه ، سميناه به. فاختلاف الأسامي عند اختلاف الصور الذهنية، يدل على أن اللفظ لا دلالة له إلا عليها[1]." وكان الأصوليون لهم آراء خاصة في تحديد معنى الكلمة، كما قسموا الصيغ إلى العموم والخصوص منها: الجمع المعرف بال في مثل كلمة الرجال، والجمع المذكر في مثل كلمة رجال، والاسم المفرد المعرف بأل في مثل السارق والسارقة، واسم الجنس إذا دخلت عليه (ال) كلفظ الحيوان.

وأما صيغ الخصوص فقد قسمها الأصوليون إلى خصوص عين في مثل كلمة محمد، وخصوص نوع في مثل كلمة إنسان، وخصوص جنس في مثل كلمة حيوان[2]. وأما اللفظ المطلق فهو اللفظ الدال على الحقيقة نحو الرجل خير من المرأة ، كقوله تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ (النساء: 34)، و"السماء فوق رؤوسنا"، و"الأرض تحت أرجلنا"، و"الشمس تطلع من المشرق"، فهذه الجمل تشير إلى المعاني المطلقة. أما اللفظ الدال على الماهية فمقيد بوصف أو شرط أو غاية. ومثال التقييد بالوصف قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ﴾ (النساء: 92). ومثال التقييد بالشرط قوله تعالى ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ (البقرة: 196). ومثال التقييد بالغاية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ

---

[1] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، **المحصول في علم الأصول**، تحقيق طه جابر فياض العلواني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1992/1412)، ج1، ص200-201.

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى من علم الأصول** (قم: منشورات الشريف الرضي، ط2، 1322هـ)، ج1، ص293.

الترك[1]، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: 187). كما يفيد الأمر التمني، وهو طلب الأمر المحبوب الذي يُرجَى وقوعه إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله، كقول عنترة العبسي:

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمِيْ وَعِمِيْ صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِيْ

وقد تفيد صيغة الأمر الإهانة والتوبيخ، وذلك إذا استعملت في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور، كقوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (الإسراء: 50)، كما يفيد التسخير أي جعل الشيء مسخرًا منقاداً لما أمر به[2] كقوله تعالى ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (البقرة: 65) أي صاغرين.

النوع الثاني: النهي ومعانيه في العربية، وذلك يفهم من خلال الموقف الكلامي. ويرى البلاغيون أن مثل هذا المأزق سماه العلماء خروج المعنى عن المعنى الأصلي. وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (الأنعام: 151) يدل على التحريم. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 267) يدل على الكراهية، وقد يدل على الدعاء في مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: 8). كما نجد أن بعض الآيات تشير إلى الإرشاد، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ (المائدة: 101) وأما في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ (الحجر: 88) فالدلالة للتحقير، وقد أشارتْ الآية إلى معنى بيان العاقبة، وذلك في قوله تعالى﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (إبراهيم: 42). وأما في قوله تعالى:﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ (التحريم: 7) فإن ظاهرة الآية تشير إلى معنى اليأس.

النوع الثالث: صيغ الماضي والمضارع، وقد أشار النحاة إلى أن الفعل يدل على

---

[1] المصدر نفسه، ص40.

[2] القزويني، **شروح التلخيص**، ج2، ص317.

﴿ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ (البقرة: 187). ولم تقتصر عناية الأصوليين على دراسة دلالات الألفاظ المفردة فقط، ولكنهم اهتموا أيضاً بدراسة دلالات التراكيب (خاصة صيغتي الأمر والنهي) لارتباطهما الوثيق بشؤون التشريع ةكونهما عليهما مدار التكليف.

أسباب تغير المعاني في اللغة العربية

السبب الأول: هو متعلق بالقواعد الإعرابية، وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: صيغة الأمر ومعانيها في العربية: إن الأمر قد لا يفيد في بعض الأحيان معناه الحقيقي الذي تقتضيه صيغة الأمر، ولهذا نجد أنه يفيد معنى غير ما تقتضيه صيغة الأمر، ففي قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا ﴾ (نوح: 28)، و﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾ (طه: 25-26) نجد أن صيغة الأمر هنا تفيد الدعاء والتضرع[1]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: 40) يفيد الأمر التخويف والتهديد، بمعنى أن استعمال الأمر جاء في مقام عدم الرضا بالمأمور به[2] كأن الله تعالى يقول فسترون جزاءه أمامكم في يوم القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ (البقرة: 23)، فهو يفيد التعجيز المراد به مطالبة المخاطب بعملٍ لا يقدر عليه، إظهارًا لعجزه وضعفه وعدم قدرته، وهذا الطلب على سبيل التحدِّي[3]. وكذلك الحال عندما تقول لشخص أو لمن لا يعرف اللغة العربية: اقرأ لي هذه الرسالة، وهي مكتوبة باللغة العربية. وقد يفيد الأمر التسوية، أي التسوية بين شيئين، وذلك في مقام توهم أن أحدهما أرجح من الآخر[4]، كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ (الرعد: 15). وقد يفيد الأمر الإباحة والإذن بالفعل، وأنه لا حرَجَ عليه في

---

[1] التفتازاني، سعد الدين، **شروح التلخيص** (بيروت: دار السرور، بدون تاريخ)، ج2، ص32.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص314.

[3] سلام، محمد زغلول، **محاضرات فى البلاغة العربية** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993)، ص40.

[4] التفتازاني، **شروح التلخيص**، ج2، ص314.

الترك[1]، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: 187). كما يفيد الأمر التمني، وهو طلب الأمر المحبوب الذي يُرجَى وقوعه إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله، كقول عنترة العبسي:

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمِيْ وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِيْ

وقد تفيد صيغة الأمر الإهانة والتوبيخ، وذلك إذا استعملت في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور، كقوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (الإسراء: 50)، كما يفيد التسخير أي جعل الشيء مسخرًا منقاداً لما أمر به[2] كقوله تعالى ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (البقرة: 65) أي صاغرين.

النوع الثاني: النهي ومعانيه في العربية، وذلك يفهم من خلال الموقف الكلامي. ويرى البلاغيون أن مثل هذا المأزق سماه العلماء خروج المعنى عن المعنى الأصلي. وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (الأنعام: 151) يدل على التحريم. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 267) يدل على الكراهية، وقد يدل على الدعاء في مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: 8). كما نجد أن بعض الآيات تشير إلى الإرشاد، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ (المائدة: 101) وأما في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ (الحجر: 88) فالدلالة للتحقير، وقد أشارتْ الآية إلى معنى بيان العاقبة، وذلك في قوله تعالى﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (إبراهيم: 42). وأما في قوله تعالى:﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ (التحريم: 7) فإن ظاهرة الآية تشير إلى معنى اليأس.

النوع الثالث: صيغ الماضي والمضارع، وقد أشار النحاة إلى أن الفعل يدل على

---

[1] المصدر نفسه، ص40.

[2] القزويني، **شروح التلخيص**، ج2، ص317.

الزمن بخلاف الاسم الذي ليس فيه علاقة بالزمن، فالماضي هو الذي دل على حدث قد وقع، وأما المضارع فيدل على المستقبل[1]. هذا ما يعرف لدى الناس، وأما الفعل المضارع الذي يدل على الماضي فقد لا يفهمه البعض، فكلمة (قد قامت الصلاة) جاءت بصيغة الماضي، ولكن الصلاة تتم بعد الإقامة، أي في المستقبل.

السبب الثاني: الترادف: يعتبر الترادف من أهم الظواهر الدلالية المشتركة بين اللغات خاصة اللغة الإنجليزية؛ لأنها أخذت ألفاظها من مصادر مختلفة كاللاتينية، واليونانية، والفرنسية، ونجد الشيء نفسه للغة العربية التي أخذت ألفاظها من اللغات الأخرى كالفارسية، والعبرية، والسريانية وغيرها، ونجد من الفارسية كلمات مترادفة في العربية مثل: الفردوس، والجنة، والبستان، والقسطاس، هذا بالإضافة إلى تعدد القبائل التي وضعت كل واحدة منها اسماً مختلفاً للمسمى الواحد[2].

لقد عرف اللغويون المسلمون هذه الظاهرة واهتموا بها ونجد بعضهم يؤلف كتابا فيها مثل كتاب "الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى" للرماني (ت 384هـ)، وكتاب "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف" للفيروزي الآبادي (ت 816هـ)، كما نجد ابن فارس (ت 390هـ) قد أشار ايضاً إلى هذه الظاهرة، وهو يعد من أقدم من استعمل مصطلح الترادف[3].

ومن اللغويين الذين أشاروا إليها أيضاً ابن جنى (ت 392هـ) الذي تكلم تحت

---

[1] الحملاوي، أحمد، **كتاب شذا العرف في فن الصرف** (بيروت: منشورات المكتبة العلمية الجديدة، د.ت)، ص25.

[2] السيوطى، عبد الرحمن جلال الدين، **المزهر فى علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق وتعليق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، (القاهرة: دار التراث، ط3، د.ت)، ج1، ص406-408. وانظر: علي عبد الواحد وافي، **اللغة والمجتمع** (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1946)، ص23.

[3] ابن فارس، أبو الحسين أحمد 390هـ، **الصاحبي**، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997)، ص41-43.

عنوان "تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني[1]." وقد عرف الفخر الرازي الألفاظ المترادفه بأنها "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد"، ثم بين أن قوله "باعتبار واحد" إنما هو للاحتراز عن اللفظيتين إذا دلتا على الشيء باعتبار صفتين له، ومثال ذلك قولنا الصارم والمهند في الكلام على السيف، أو باعتبار صفة الصفة كقولنا الفصيح والناطق[2]. وبالرغم من وجود ظاهرة الترادف في اللغة العربية إلاّ أننا نجد اختلاف اللغويين المسلمين في إثبات الترادف أو نفيه، ولعل الحوار الذي دار بين اللغويين المشهورين أمثال أبي علي الفارسي (ت 357هـ) وابن خالويه (ت 370هـ) يصوّر لنا صورة هذا الاختلاف بمجلس سيف الدولة بحلب وبحضور جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه الذي قال: أحفظ للسيف خمسين اسما فتبسم أبو علي وقال: أما أنا أحفظ إلاّ اسما واحداً وهو السيف، قال ابن خالوية: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات[3].

ومن الذين أنكروا الترادف أبو علي الفارسي وابن فارس في كتابه الصاحبي حيث يقول "يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام والذي نقوله في هذا إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب[4]،" ويقول أبو هلال العسكري في كتابه "الفروق في اللغة" لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فلذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأن في ذلك تكثيراً للغة،كما يجد القارئ لكتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي (ت 1172هـ) أمثلة كثيرة للفروق بين الألفاظ التي تبدو مترادفة، ومن ذلك الفرق بين الإثم والوزر، وبين الذنب والمعصية، والزلة وبين الجرم، والذنب والعصيان. وهو بذلك يتابع أبا هلال العسكري

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد على النجار (القاهرة: المكتبة العلمية، د.ت)، ج2، ص118.

[2] الرازي، **المحصول في علم الأصول**، ج1، ص253.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص405.

[4] ابن فارس، **الصاحبي**، ص96-97.

في نهجه للتفريق بين المترادف من الألفاظ كالمدح والثناء وبالثاني المدح المكرر والمدح والإطراء والثاني هو المدح في الوجه. وأما ابن فارس عندما فرّق بين قعد وجلس حيث إن في الأول معنى ليس في الثاني.

وبهذا نلاحظ أن اللغويين الذين أثبتوا الترادف يتفاوتون في هذا الإثبات، فهناك من وسع مفهومه و لم يقيد وروده في اللغة بأي قيد، مثل ابن خالويه وغيره، وهناك من قيد وروده في اللغة بشرط مثل الفخر الرازي الذي قصر الترادف على ما يتطابق فيه المعنيان تطابقاً تامًّا، ويرى أنه ليس السيف والصارم ترادفاً بل أكثر من ذلك لأن في الصارم معنى أقوى من السيف[1].

كما رأينا هذا الاختلاف عند القدماء نجده عند المحدثين أيضًا، فمعظم اللغويين المحدثين ينكرون الترادف التام، إنهم يزعمون أن كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنىً ثابتاً مختلفاً عن الأخرى وأكدوا ذلك: ما دامت الكلمات مختلفة صوتيّاً فلا بد أن تكون معانيها مختلفة أيضاً، وبناء على ذلك أنه لا يوجد ترادف حقيقي[2]. ونجد كثيراً من اللغويين أمثالهم هاريس Harris الذي يقول: "إنه في إطار اللغة لا يوجد ترادف فالاختلاف الصوتي لابد أن يصحبه اختلاف في المعنى، فكل كلمة من الكلمات الآتية تختلف عن الأخرى في بعض ملامح المعاني الأساسية أو الإضافية (quick, fast, swift, rapid, speedy)[3]." فالترادف إذاً من أهم خصائص اللغة العربية، وقد صار موضوعَ بحث من قبل كثير من علماء اللغة حتى من خارج دائرة العربية، هذا بالإضافة إلى أهميته في مجال تعليم اللغة خاصة اللغة العربية.

---

[1] قال الرازي: "واعلم أن الفرق بين المتلادف والمؤطد أن المترادفين يفيدان فائدة واحدة، من غير تفاوت أصلا." **المحصول في علم الأصول**، ج1، ص253.

[2] عمر، **علم الدلالة**، ص224.

[3] المرجع نفسه، ص224.

السبب الثالث: المشترك اللفظي (Polysemy)، ويقصد به كلمة واحدة تدل على أكثر من معنى، وقد عرفه الأصوليون – كما ذكر السيوطي - بأنه "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[1]." ومثال ذلك كلمة "العين" التي تدل على الحاسة الباصرة، وتدل على الماء، وتدل على الجاسوس، وتدل على الشيء نفسه. قال الأصمعي في كتاب الأجناس: "العين: النقد من الدراهم والدنانير ليس بعرض، والعين: مطر أيام لايقلع، والعين عين الإنسان، والعين عين البئر، والعين: عين اللصوص[2]."

ولهذا نجد أن اللغويين المحدثين يفرقون بين ما أشرنا إليه بالمشترك اللغوي والألفاظ التي تتفق في الصيغة أو الشكل أو الصوت ولكنها تعبر عن أشياء أو معاني مختلفة، وهو ما يعرف عند علماء العربية القدماء بالجناس. ويمثل له بلمر Palmer بالكلمات الإنجليزية الآتية: flower بمعنى وردة و(flour) بمعنى الدقيق، وsea بمعنى بحر، وsee بمعنى يرى، وright بمعنى صحيح، وwrite بمعنى يكتب. ويمكن التمثيل لذلك في اللغة العربية بالفعلين: قال يقيل قائل، وقال يقول قائل، وبكلمة دقيق صفةً واسمًا، وكلمة قدح اسمًا وفعلا. ويجب أن نشير هنا إلى أن اللغويين المسلمين قد تصوروا الجناس على أساس الصورة الصوتية المكتوبة للكلمة، أما اللغويون الأوروبيون المحدثون فقد انطلقوا من الصورة الصوتية المنطوقة[3].

وقد اهتم اللغويون المسلمون بظاهرة المشترك، وإن كانوا لم يستعملوا هذا المصطلح كما استعملوا لفظ الترادف أو النظائر، وإنما نجد عندهم مصطلح الوجوه إلى جانب عبارة "ما اتفق لفظه واختلف معناه" في مقابل "ما اختلف لفظه واتفق

---

[1] السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج1، ص369.

[2] المرجع نفسه، ج 1، ص369.

[3] عمر، **علم الدلالة**، ص167-171.

معناه". وتدل المؤلفات التي وصلت إلينا في هذا الموضوع أن القرآن الكريم والحديث النبوي كانا وراء التأليف في هذه الظاهرة عند اللغويين المسلمين[1]. ومن هذه المؤلفات: "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" لمقاتل سليمان البلخي (ت 150هـ)، و"الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" لهارون بن موسى الأزدي (ت 170هـ)، و"كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" للمبرد (ت285هـ)، وكتاب "الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها" للثعالبي (ت 429هـ)، و"الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" للحسين الدامغاني من علماء القرن الخامس الهجري، وغيرها كثير[2].

وقد اهتم جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) بالمشترك اللفظي اهتمامًا واضحًا، فقد تعرض له في كتابه "المزهر" أكثر من مرة، كما خصّص له جزءاً كبيراً من كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن "حيث عد المشترك اللفظي من أعظم مظاهر الإعجاز القرآني؛ لأن الكلمة الواحدة تنصرف إلى أكثر من عشرين وجهاً ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

كما نجد ابن قتيبة يشير إلى المعاني المتعددة للفظ الواحد في مقابل الألفاظ المتعددة للمعنى الواحد، ومن ذلك لفظة زوج في القرآن الكريم التي نجد أن لها ثلاثة معانٍ[3]، أولها بمعنى اثنان في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ (النجم: 45) أي فجعل كل واحدٍ منهما زوجاً، وقد يكون بمعنى الصِّنْف كقوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ (يس: 36) يعني الأصناف، وقد يكون الزوج بمعنى القرين في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ (النساء: 1) أي قرينها.

---

[1] قدور، أحمد محمد **مدخل إلى فقه اللغة العربية** (القاهرة: دار الفكر المُعَاصِر، ط2، 1993)، ص197.

[2] عمر، **علم الدلالة**، ص147.

[3] ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، شرحه ونشره السيد أحمد صقر (القاهرة: دار التراث، ط2، 1973)، ص239.

السبب الرابع: شبه المشترك المعنوي، وقد يأتي نوع آخر يسمى المشترك المعنوي، وغالباً ما يقع هذا النوع بين النهي والأمر، مثال ذلك في عبارة "لا تعصني" فهي بمعنى "أطعني"، فدلالتهما واحدة ولا فرق بينهما من الناحية المعنوية[1]. ونلاحظ في مثل هذه المسألة أقوال الفقهاء، فإنهم يستخدمون تعبير "لا يحل" جريًا على أسلوب قوله تعالى ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ (البقرة: 230)، فعبارة "لا تحل له" بمعنى يحرم عليه.[2] وقد وصف بعض العلماء أن هذا الأسلوب يعتبر نوعًا من التأدب اللغوي. وهذه الظاهرة شائعة في الكثير من كلام الناس.

وعلى سبيل المثال إن المشترك المعنوي قد يأتي من قبل التضاد، فعبارة "لا تجلس" يفهم منها "اترك هذا المكان أو لا تجلس هنا"، وغالباً أن السامع سيفهم عندما يصل إليه الكلام، بل إنه يدرك المعنى ويفهمه عن طريقة متعددة سواء أكان يفهم عن طريق الصوت أم يفهم عن طريق الإشارات المتعلقة بهذا الكلام.

السبب الخامس: السياق، إن كلمة السياق كثيرة الدوران في البحوث اللغوية، تناولها الباحثون في الدلالة بمعنيين مختلفين، يمكن تحديدها في أمرين، هما: السياق اللغوي والسياق الاجتماعي. فأما السياق اللغوي فكل العلاقات الأفقية، ولقد أوضح الدرس الدلالي الحديث أن معنى الكلمة لا يتضح إلا بسياق الكلمة أي وضعها في سياقاتها المختلفة. ومن هنا اهتم اللغويون الذين درسوا المعنى بالسياق، ونجد هؤلاء يعرفون المعنى بأنه القيمة الدقيقة التي يحملها المفهوم المجرد من سياق محدد .كما ذهب هؤلاء اللغويون إلى أن الكلمات ليست لها معان وإنما لها استعمالات، وأن هذه الاستعمالات تخرج بها من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك.

ومن علماء المسلمين الذين اهتموا بمسألة السياق ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) الذي

---

[1] ابن فارس، **الصاحِبي**، ص210.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص272.

يرى أن السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال المراد. لقد أكد اللغويون المحدثون وخاصة من أصحاب المدرسة الاجتماعية الإنجليزية على دور السياق في تحديد المعنى كما اهتموا بالاستعمال الفعلي للكلمة في إطار المجتمع وثقافته، لقد ذهب هؤلاء اللغويون إلى أن هذا الاستعمال يحكمه أمران: **أولهما**: السياق اللغوي، وهذا السياق لا ينظر إلى الكلمات بوصفها وحدات منعزلة، بل إنه يرى أن الكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، **وثانيهما**: سياق الموقف، وهو الذي يلعب دوراً مهمًّا في تحديد المعنى، مثال ذلك فعل "أَكَلَ" ومعانيه المتعددة من خلال سياقات مختلفة في مستويين لغويين مختلفين أو بيئتين لغويتين مختلفتين[1].

ونعرض للفعل أولاً في المستوى الأول الذي يتمثل في السياقات القرآنية المختلفة، كقوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: 7)، فكلمة (يأكل) في الآية السابقة بمعنى عملية تناول الطعام للإنسان. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ﴾ (يوسف: 13) بمعنى الافتراس للحيوان، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ (هود: 64) الرعي للحيوان، وفي قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحُجُرات: 12) بمعنى الغيبة، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ (النساء: 10) بمعنى الاختلاس للإنسان، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ (آل عمران: 182) بمعنى الاحتراق للجماد.

وكما أشرنا أن اللغويين من أصحاب المدرسة الاجتماعية لم يقتصروا على السياق اللغوي لفهم المعنى، بل اهتموا بالموقف؛ لأنهم لا يرون اللغة وسيلة للاتصال فقط، بل هي نوع من السلوك وضرب من العمل. وفي هذا الصدد يقرر العالم الانتروبولوجي البولندي

[1] يرى أحمد مختار عمر أن السياق ينقسم إلى أربعة أقسام: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي. **علم الدلالة**، ص69.

مالينوفسكي (ت 1942م) أن السياق والموقف مرتبطان بعضهما ببعض ولا ينفصلان، ويستعمل مصطلح المقام (Context of situation)، أي سياق الموقف وهو المصطلح الذي استعملته المدرسة الإنجليزية[1]. ونجد أن سياق الموقف الذي يلعب دوراً مهما في تحديد معاني الكلمات يتكون عنده من ثلاثة عناصر رئيسة أولها: شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام معهما ودور المشاهد في المراقبة أو المشاركة، وثانيها: العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتصلة بالحديث اللغوي ويشمل الزمان والمكان.، وثالثها: أثر الحدث اللغوي كالإقناع والفرح والألم.

ولقد تطورت فكرة السياق وأخذت شكلاً أكثر تحديداً عند أبرز علماء المدرسة الإنجليزية وهو اللغوي الإنجليزي جون فيرث John Rupert Firth (ت 1960م) الذي أصل دراسة المعنى من خلال إطار منهجي يقوم على تحليل المعنى الذي يتركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، فلكي نصل إلى معنى كلمة أو معنى لغوي يجب أن نلتزم في أربعة أمور، أولها: تحليل السياق اللغوي صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا ومعجميًّا، وثانيهما: بيان الأثر الذي يتركه الكلام كالامتناع أو التصديق أو التكذيب أو الفرح أو الألم، وثالثها: بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام أو ما يسميه العلماء الموقف الكلامي، ورابعها: بيان نوع الوظيفة الكلامية – مدح – هجاء – طلب – سخرية – تهكم – تعجب وما إلى ذلك[2].

ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن البلاغيين المسلمين فطنوا لهذا عندما قالوا إن المعنى لكل مقام مقالاً وفرقوا بين المعنى المقالي والمعنى المقامي، لأن صورة المقالي تختلف في نظرهم عن المعنى المقامي[3]، كما نرى اهتمام المفسرين بالمقام في كلامهم

---

[1] حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها** (القاهرة: عالم الكتب، ط6، 2009/1430)، ص337.

[2] حسام الدين، كريم، **أصول تراثية في علم اللغة** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1985)، ص74-75.

[3] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص337.

عن أسباب التزول في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، وأما ابن القيم الجوزي يرى أن السياق له دور فعال في الفرق بين المجمل وتعيين المحتمل.

السبب السادس: الجانب الصوتي: المراد بالدلالة الصوتية هي التي تتميز بين ثلاثة أصوات، الصوت الأعلى والصوت الهبوط والصوت المنخفض ويتم هذا التغير وفق الأمور الآتية:

أ. **النبر**: يعتبر النبر مظهراً من مظاهر الدلالة الصوتية كما يطلق عليه النشاط اللغوي في جميع أعضاء النطق في وقت واحدٍ فقد تتغير الدلالة باختلاف موقعها من الكلمة[1]. فبعض الكلمات الإنجليزية تستعمل اسماً إذا كان النبر على المقطع الأول، فإذا انتقل النبر إلى المقطع الأخير من الكلمة أصبحت "فعلاً"[2]. مثال ذلك لفظتا "ذَهَب" بمعنى راح، و"ذَهَب" بمعنى المعدن المعروف، ففي مثل هاتين الكلمتين فإن النبر هو الذي يحدد المعنى.

وأميل إلى ذلك عندما نرى في كلمتي (فول وفل) الفول بالواو هو طعام من طعام العرب المعروفة، وأما الفل بدون الواو بمعنى نوع من أنواع الزهور المعروف لدى العرب ويستخدم المصريون كلمة "فل" عند تحية الصباح كقولهم "صباح الفل" مثل صباح الياسمين وغير ذلك. والذي يهمنا في هذا المثال نوضح أن الفُلَّ والفُوْلَ لا فرق بينهما من حيث الصوت بل النبرة هي التي توضح لنا الفرق بينهما.

ب. **التنغيم**: وهو مظهر من مظاهر الدلالة المعنوية والنغمة الكلامية أو الصوتية، إن التنغيم موجود في معظم اللغات، ولكنه يختلف في استخدامه أو عدم استخدامه، وأكثر ما يستخدم التنغيم في اللغات للدلالة على المعاني الإضافية من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب... دون تغيير في شكل الكلمات المكونة لها[3]. فالتنغيم إذاً الإيقاع الصوتي

---

[1] أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص46.

[2] المرجع نفسه، ص46.

[3] عمر، **علم الدلالة**، ص195.

في اللغة، أو موسيقى الكلام[1]، التي تلعب دوراً مهمًّا في تغيير المعنى في الجملة الواحدة.

ففي اللغة الصينية مثلاً قد تكون الكلمة الواحدة دلالاتها شتى، ولا يفرق بينها إلا اختلاف النغمة في النطق، مثال ذلك عبارة "أَكَلْتَ"، فيمكن أن تنطق نغمات عدة، وهي مع كل نغمة من تلك النغمات تفيد دلالة خاصة، فمرة تفيد الاستفهام، وأخرى التهكم والسخرية، وثالثة للدهشة والاستغراب. ومن ثم "فالتنغيم إذن مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام[2]."

وبفعل التنغيم تكتسب الجملة معنىً مغايرًا على سبيل الاستفهام أو الإخبار أو التعجب أو الأمر. فالمسار النغمي للجملة هو الذي يحدد المعنى المراد، وقد يبين في حالات كثيرة عن فرح شخص ويكشف عن حالته النفسية من نحو الرضا والغضب وما شابه ذلك. وباختصار نقول: إن التنغيم له دور كبير في تحديد المعنى في اللغة العربية. ولهذا يرى العلماء أن التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة[3].

السبب السابع: النظام اللغوي في اللغة العربية، قد يكون اختلاف الدلالة ناتجاً عن النظام اللغوي في اللغة العربية بذاتها، وهو ينقسم إلى قسمين:

أولهما: النظام الصرفي: هناك نوع آخر من الدلالة يحصل عن طريق الصيغ وبنيتها، مثال ذلك لفظتا "كَذَّابٌ" و"كَاذِبٌ"، فالأولى جاءت على صيغة يرى اللغويون القدماء أنها تفيد المبالغة أي شدة المعنى وزيادته مقارنة بالثانية. "فاستعمال كلمة كذَّاب يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل كاذب[4]." فكلمة "غفور" مثلاً تدل على الاتصاف بكثرة الغفران، بخلاف كلمة "غافر، التي تدل على مجرد الاتصال بالغفران.

---

[1] أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص175.

[2] حجازي، محمود فهمي، **مدخل إلى علم اللغة** (القاهرة: دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998)، ص82.

[3] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص226-231.

[4] أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص47.

ثانيهما: النظام النحوي: إن قواعد النحو تلعب دورًا كبيراً في التغير الدلالي، وتؤثر أنماط التراكيب النحوية في أداء المعنى، فترتيب الكلمات والعبارات محكوم بقواعد ونظم تختلف من لغة إلى أخرى، فالعربية مثلاً لها طرائقها الخاصة في تركيب الجمل. لذلك يشترط علماء النحو أن يكون ترتيب الكلمات وفق ما استقرأوه من قواعد جرى عليها كلام العرب، فلا يخل المتكلم بشيء منها. ويعتمد نظام الجملة العربية أو هندستها ترتيباً خاصاً، فلو اختلت تلك الهندسة لأصبح من العسير أن يفهم المراد من الكلام. تصور مثلاً جملة تقول: "لا تصدقه في وسط الصحراء فهو هل يعقل في ثوان النفط كذاب العين تنضح"، فلا يمكن لأحد أن يفهم المراد في مثل هذه الجملة أو العبارة[1].

كما أن استخدام المورفيم المقيد في الكلمة قد يؤدي إلى تغير المعنى الدلالي أيضاً، كما نرى في هاتين الجملتين: "يرغب الولد في الأكل"، و"يرغب الولد عن الأكل"، فكل من "في" و"عن" في الجملتين السابقتين عبارة عن مورفيمين مقيِّدين، ولذلك فكل من الجملتين تفيد معنى مناقضًا لما تفيده الأخرى؛ فالجملة الأولى تفيد أن الولد يريد أن يأكل، والثانية تفيد العكس، أي أن الولد لا يريد الأكل. ولهذا نجد أن الجملتين تدلان دلالة مختلفة بحسب المورفيم المستخدم فيها. من ذلك قول الرسول ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني[2]،» أي رفض سنته.

السبب الثامن: النظام الاصطلاحي، قد يكون التغير الدلالي ناشئًا عن الظروف الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأما التغير الراجع إلى الإطار الديني فمثل كلمة "إله" (أو إلاه)، ففي الإطار الإسلامي المراد بالإله الله تعالى لا شريك له، وفي السياق البوذية تعني هذه اللفظة صنمًا من الأصنام.

السبب التاسع: النظام المعجمي، لقد أوضحنا فيما سبق أن من عوامل التغير

---

[1] أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص48.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح** (القاهرة: المكتبة السلفية، ط1، 1400هـ)، ج15، ص493.

الدلالي هي الدلالة المعجمية، ويقول الدكتور تمام "أن المعنى المعجمي فهو علاقة عرفية[1]،" وهي عبارة عن المعنى الذي للفظ في المعاجم اللغوية أو أثناء التخاطب، وقد بينتها قواميس اللغة حسب ما ارتضته الجماعة والمصطلحات المستعملة في الحياة اليومية بعد اكتسابها عن طريق السماع والقراءة والاطلاع على آثار السابقين الأدبية شعراً ونثراً. وهذه الدلالة عرضة للتغير، بل إنها تغيرت فعلاً بعد عصر تدوين اللغة تغيرًا نتج عن اختلاف حياة الأجيال المتعاقبة، وما وجد من مستحدثات وأمور تقتضي التغير، وقد لاحظنا ذلك في العصرين الإسلامي والعباسي، بحيث إن كثيراً من الكلمات التي تعتبر جديدة في الاستعمال، فكانت هناك توجد كلمة غير معمولة بها إلا بعد أن تغيرت البيئة والحياة الاجتماعية، وعلى سبيل المثال كلمة "البِرْكَة" وهي غير معروفة عند العرب إلا بعد أن صُنِعَت بركة المتوكل، أي الحوض الكبير أمام قصر الخليفة المتوكل كما وصفه المتنبي في قوله:

يا من رآى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات إذا لاحت مغانيها

ففعل "سعد" مثلاً لا يمكن إسناده في الحقيقة إلا لمن يصح وصفُه بالسعادة، وهم الأحياء العقلاء، ذوو الأفهام والعواطف، كل ذلك من المشتقات والكلمات الأخرى قبيلة واحدة، فإذا خرج الفعل من حدود قبيلته إلى قبيلة الكلمات الدالة على الجماد فقلنا مثلاً "سعد الحجر" و"فرح الجبل" وألمت السيارة" مثلاً فإن الفعل فى هذه الحالة مرفوض[2]. ولكن إذا قلنا فرح المترل على أو نقول "رأينا وردة تمشي في الحديقة"، فمثل هذه الجملة على سبيل المجاز.

السبب العاشر: العضوية، تتمثل العوامل العضوية في اختلاف أعضاء النطق التي تميز صوت كل فرد عن غيره وكل جنس عما سواه وأيضاً في تطور أعضاء النطق

[1] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص372.

[2] حسان، تمام، **التمهيد فى اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها** (مكة الكرمة: جامعة أم القرى، 1984)، ص145.

وهي كالرئتين والقصبة الهوائية والحنجرة والوترين الصوتيين واللسان والشفتين وتجاويف الفم والأنف تختلف من شخص لآخر وتتبع الأصوات تبعاً لذلك، كما أن هذه الأعضاء تتغير من جيل إلى جيل وتتأثر بمؤثرات من بيئة لأخرى.

ومن العوامل العضوية المعروفة نلاحظ عند الصينيين عندما ينطقون صوت الراء، حيث يصعب عليهم نطق حرفي الراء والهاء نطقاً صحيحاً، ففي قراءتهم "بسم الله الرحمن الرحيم" فإننا نجد أن الصيني عادة ما يعجز عن نطق الحاء والراء نطقاً صحيحاً بل ينطقها على النحو التالي: "بسم الله اللهمن اللهيم". وفي مثل آخر نجد أن صوت الحاء لا يوجد لدى الصينيين إنما الموجود عتدهم صوت الهاء فقط، ولعل هذا المثال أيضاً يفيد القراء في التعرف على الصوت الصيني، مثل كلمة (Rugi) في الماليزية، ولا ينطقه الصيني كما ينطقها ابن اللغة بل ينطقها (Lugi)، فيتغير صوت الراء إلى اللام وصوت الحاء إلى الهاء.

السبب الحادي عشر: العلاقات المجازية، من الأمور التي ينبغي الاهتمام بها في قضية التغير الدلالي هي العلاقات المجازية، وقد كان هذا سبباً من الأسباب التي تؤدي إلى صعوبة فهم اللغة العربية، بل تؤدي إلى التغير الدلالي الواضح، فكلمة **(يد)** مثلاً في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: 10)، وهي ليس بالمعنى الحقيقي، بل من اعتقد أن لله تعالى يدا كيد البشر فقد كفربه، لأنه جعل صفة الخالق مثل صفة المخلوق، وفي مثال آخر كلمة **(سكر)** فقد تطلق عليها بمعنى الطفلة الصغيرة عند المصريين بحيث شبه الوالدان أطفالهما بالسكر، وقد يختلف المجتمع المصري عن المجتمع العربي الآخر، قد يكون المجتمع المصري متأثراً بالتقاليد الأوروبية، وهناك من ينادي ولداً بكلمة (عفريت) فهي اسم من أسماء الجان، إذ أنه قد تطلق عليها يالمعنى الذكاء والمحبة.

السبب الثاني عشر: الفطرية الوراثية، وأما بالنسبة للعوامل الوراثية، فقد تؤدي إلى تغير المعنى في الكلام، وخير مثال على هذا النوع أن الماليزي لا يستطيع أن يفرق بين صوت الضاد والدال في بداية التعلم إلا بعد ممارسة لغوية تامة، فالكلمتان مثل ضابط

ودابط او صداع وسداع، أو هرم وحرم أو ماء وماع وغيرذلك من الكلمات فيها أصوات الدال والضاء والسين والصاد والهاء والحاء والهمزة والعين، وربما الماليزي يتخيل ان صوت الضاد والدال من مخرج واحدٍ ويتطقهما واحداً بينما لدى العرب هذان الصوتان مختلفان في المخرج.

السبب الثالث عشر: الجنس، المراد بالجنس هنا كون المتكلم ذكراً أو أنثى، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنه يؤثر تأثيراً واضحاً في اختلاف الدلالة في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات[1]. فمن ظاهرة هذه الفروق نجد أن أصوات النساء في الغالب أكثر حرة وأعلى طبقة من أصوات الرجال، بل بكاء النساء يختلف عن بكاء الرجال، فبكاء الرجال يدل على المرض غالباً، بينما بكاء النساء قد يدل على الغضب الشديد أو عدم الرضى بشيء ما، أو يدل على الاسترحام والاستعطاف، كما يقول ذِي الرُمة:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة   منْ الوجد أو يشفي شجي البلابل

ويرى الباحث أن الجنس له علاقة باللفظ، وأن اللفظ له علاقة بالمعنى وكلاهما علاقة وثيقة بالمجتمع، كما يقول تمام حسان "قد يكون للجنس معنى معين من ظروف استعماله في المجتمع[2]." فعلى سبيل المثال دلالة السكوت عند المرأة تختلف عنها عند الرجل، وكثيراً ما يكون السكوت عند الرجل للدلالة على الغضب أو عدم الرضا، وبالعكس عند النساء أن السكوت عند النساء للدلالة على الرضا.

السبب الرابع عشر: السمعية، الأخطاء السمعية أيضاً تسهم مساهمة فعالة في التغير الدلالي في اللغة العربية، وقد يفهم الفرد المعنى غير المعنى المراد. ويرجع هذا الاختلاف سوء الاستماع، فالكلمتان فهم وفحم من الكلمات التي تبنى من خلال

---

[1] وافي، على عبد الواحد، **اللغة والمجتمع** (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1946)، ص130؛ وانظر أيضًا عمر، **اللغة والاختلاف الجنسين** (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1996)، ص129.

[2] حسان، **التمهيد فى اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها**، ص120. وانظر: وافي، **اللغة والمجتمع** ، ص8.

الحروف المتقاربة. ويرى بعض العلماء أن هناك أخطاء خاصة مقصورة على بعض الأفراد كالأخطاء الناتجة عن ضعف السمع أو اختلال أجهزة وله شأن كبير في تطوير اللغة، لأن آثارها مقصورة على أصحابها تبقى معهم وحدهم في حياهم[1].

السبب الخامس عشر: العلاقات بين الكلمات: قد تكون الكلمة لا تشير إلى معنى محدد، بل يتوقف معناها على الكلمات الأخرى المجاورة لها. ولهذا نرى أن العلاقة بين الكلمة والكلمة الأخرى في الجملة الواحدة وثيقة الصلة، وهي يمكن أن يتحدد معناها من خلال السياق، كما يمكن أن يتحدد أيضاً على أساس علاقة الكلمة بالكلمات الأخرى المجاورة لها. ولهذا يقول أحمد مختار عمر: "إن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[2]،" أي من خلال مجموعة من الكلمات المتقاربة التي تمتلك علاقة تركيبية كلمات القرابة أو الكلمات التي لا تفهم إلا من خلال علاقة بنائية. وتعود هذه النظرية إلى اللغويين الألمان وقد عرفت في الدرس الدلالي باسم "نظرية المجال الدلالي". ويرى أصحاب هذه النظرية أن الكلمة تكتسب معناها من علاقاتها بالكلمات الأخرى، وأن معنى هذه الكلمة لا يتحدد إلا بالنظر إليها في صلتها بأقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة.

السبب السادس عشر: سقوط الدلالة[3]، قد تسقط عن الكلمة عدة من معانيها لعدة أسباب، منها سبب اللهجة، لأن اللهجات العربية تختلف من إقليم إلى إقليم، وفي ذلك يقول عبد الصبور شاهين: "قد تتفشى في إقليم معين لتصبح طابعاً يميز لهجته عن سائر الأقاليم المجاورة[4]." فاللهجة الشرقية في بعض الدول العربية تختلف اللهجات الأخرى كالغربية، والشمالية، والجنوبية. فكلمة "كيف حالك؟" في الغربية

---

[1] وافي، المرجع نفسه، ص297.

[2] عمر، **علم الدلالة**، ص79.

[3] ويسميه إبراهيم أنيس "انحطاط الدلالة". **دلالة الألفاظ**، ص157.

[4] شاهين، عبد الصبور، **في علم اللغة العام** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1984)، ص170.

من اللهجات السعودية يستخدمها الشرقيون بعبارة "إيش لونك؟" أي "ما لونك؟" وهي تعني في الحقيقة: كيف حالك؟، ولفظ "إزَّيَّك؟" عند المصريين بمعنى "كيف حالك؟". ولهذا يرى بعض العلماء أن اللهجة في المنطقة الواحدة قد تختلف باختلاف طبقات الناس وفئاتهم[1]، فلهجة التجار مثلاً تختلف عن لهجة الصيادين والفلاحين والنجارين والمثقفين، فكل من هذه الفئات يستخدم ألفاظًا مناسبة لأوضاعهم ومهنتهم ومشاغل تفكيرهما. فكلمة "مرسى" قد لا يفهمها الفلاحون؛ لأنهم لا يستخدموها في حياتهم الاجتماعية. ويطلق علماء اللغة على هذا النوع اسم اللهجات الاجتماعية (succinct dialects)[2].

ومن ناحية أخرى فإن اللغة العربية تختلف من إقليم إلى إقليم آخر، فكلمة (وَثَبَ) قد اختلف الناس في فهمها، وهناك قصة لطيفة حول هذه المسألة، وقد حكى لنا الإمام السيوطي أن أهل الحِمْيَرَ يقولون للقائم: "ثِبْ" أي اقعد، وفي الحديث "أن عامر بن الطفيل أتى رسول الله ﷺ فوثبه وسادة"، أي أفرشه إياه، والوثاب: الفراش بلغة حِمْيَرَ. وقد روى أن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير، فألفاه في متصيد له على جبل مشرف، فسلم عليه وانتسب له، فقال له الكلم: ثِبْ، أي اِجْلِسْ، وظن الرجل أنه أمر بالوُثُوْبِ من الجبل، فقال: ستجدني أيها الملك مِطْوَاعاً (طاعة له)! ثم وَثَبَ من الجبل فهلك. فقال الملك: ما شأنه؟ فخَبَّرُوْهُ بقصته وغلطه في الكلمة، فقال: أما أنه ليست عندنا عَرَبِيَتْ[3]، من دخل ظفارَ[4] حَمَّرْ، أي فليتعلم الحميرية[5]."

وليس هذا قاصرًا على العربية، ففي اللغة الملايوية توجد كلمات في اللهجات المختلفة

---

[1] علي عبد الواحد وافي، **نشأة اللغة عند الإنسان والطفل** (القاهرة:دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1947)، ص136.

[2] المرجع نفسه، ص137.

[3] المراد بها اللغة العربية.

[4] قرية من قرى حمير.

[5] السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ص257.

ذات معان مختلفة، وعلى سبيل المثال كلمة (kopek) تعني المحفظة توضع فيها النقود عند أهل ولاية قدح Kedah، وتعني ثدي المرأة عند أهل كلنتان Kelantan وترنغانو Terengganu. وتطلق على أشياء أخرى عند الجنوبيين كملاكا وجوهر ونكرى سمبيلن وسراواق وغير ذلك. وكذلك كلمة (segan) يقصد بها (كسلان) في قدح، بينما عند أهل الجنوب بمعنى (malu) (حياء). وكلمة (katak) عند القدحيين لها معنيان إما بمعنى (ضفضع) وآخر بمعنى (ضَرْب) ولكن عند الكلنتانيين وغيرهم بالمعنى الواحد وهو ضرب فقط.

السبب السابع عشر: العمر الزمني، نلاحظ من خلال هذه الدراسة إن السن أيضاً يلعب دوراً كبيراً في تغيير المعنى في اللغة الواحدة، فإن الطفل الصغير بطبيعته أن يقول "أباً" عندما يرى رجلاً، وكذلك يظن أُمّاً عندما يرى امرأةً تشبه أمه في ثيابها وشعرها[1]، ويرى تمام حسان "أن الكلمة الواحدة بعينها قد يختلف معناها بحسب الدور الذي يؤديه الفرد. فمثلاً عبارة "إنه يشرب كثيراً" إذا قيلت في شان طفل صغير دلت على نوع من المشروبات، أما إذا قلت في رجل مشهور بمعاقرة الخمر فإنها تدل على نوع آخر من المشروبات[2].

ولذلك يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "من المعروف أن الأطفال الصغار يميلون إلى تعميم مدلولات الكلمات الأولى التي يتعلمونها ويستخدمونها في مجال أوسع[3]." فهذا يحدث في كل الأطفال الصغار، فالأب يختلف عن كل الرجال، لأن العلاقة العاطفية التي يملك الرجال تختلف عن العاطفية عند المرأة، وكذلك حنونة الأم تختلف عن حنونة النساء الأخرى، فالعاطفية عندهن أقل من العاطفية عند الأم الحقيقية.

وخلاصة القول إن كلمة الطفل قد تختلف عن الكبير من حيث مفهومها،

---

[1] إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ** (القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980)، ص155.

[2] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص356.

[3] عمر، **علم الدلالة**، ص132.

فالكبير يرى الكلمة بالمعنى حسب خبراته وثقافته، ويختلف عن الصغير الذي يملك ثقافة محدودة، فكلمة ملعب مثلاً يرى الصغير بمعنى المكان الذي يلعب فيه فقط، بينما الكبير المثقف يرى أن الملعب هو المكان الذي يجتمع فيه الناس ويتبادلون ثقافاتهم ويرفعون أشعارهم ورواياتهم، فيها يتعارف بعضهم ببعض، ويربطون العلاقات بين الأسر، وكذلك عندما ننظر إلى كلمة المدرسة، ويراها الصغير هو مكان التعلم فقط، بينما المثقف يرى أن المدرسة فيها يتعلم الأطفال ويتربون تربية صحيحة ويقومون ثقافتهم ومستقبلهم.

خاتمة

قد توصل هذا البحث المتواضع إلى كثير من النتائج الجزئية المتناثرة في موضوعاته، وأهمها:

1. إن العربية غنية بثرواتها اللفظية، وكان لهذا إيذان إلى إجراء البحوث الأخرى من أجل مساعدة القائمين بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. ولها أساليبها الخاصة فيجب على كل من القائمين بتعليمها إدراك هذه الأساليب وطرق فهم معانيها.
2. إن القدامى قد سلكوا طرقاً كثيرة من أجل اللغة العربية، لكن كانت دراستهم تتوقف عند الأدب والنحو والصرف، والبلاغة، وأما في مجال علم الدلالة فدراستهم حولها قليلة.
3. ينبغي لنا أن ندرس مثل هذه الموضوعات، ونقوم بنشرها من لغتنا العربية الكريمة، وإلا كيف نفهم معاني اللغة العربية فهما دقيقاً سواء أكان في القرآن الكريم أم في الحديث النبوي الشريف وفي كلام العرب.

4. إن تيسير عملية فهم كلام العرب من شعر وخطب ونثر وتوقيع أمر يحتاج إلى دراسة علم الدلالة، لأن العربية لها كلماتها غير محددة المعنى، قد يفهم معناها عن طريق السياق وبه يستطيع الفرد أن يدرك معانيها الصحيحة.

5. اختلاف اللهجات قد تؤدي إلى سوء فهم لمعاني في بعض اللغات، والسياق له دور فعال في توضيح تلك المعاني المتعددة.

6. توجد في اللغة الماليزية بعض الكلمات المتفقة مع نظام اللغة العربية، وقد تستعمل تلك الكلمات بالمعاني الأخرى، تخالف المعنى بالمجتمع.

7. قد تكون معاني الكلمات تتغير بسبب البيئة، فلكل بيئة لها لهجاتها الخاصة التي لا يعرفها إلا من ذاقها فقط، فالصيادون يعرفون الكلمات المعروفة في بيئتهم فقط بينما الفلاحون يعرفون الكلمات المحيطة بهم، وعلى سبيل المثال المرسى لا يعرفها الفلاحون لأنها ليست معروفة لديهم، ولكن الصيادين يفهمونها فهما جيداً.

8. لكل بيئة لها ألفاظ خاصة يمارسها أبناؤها، قد لايفهمها الآخرون وعلى سبيل المثال، البحريون لهم معان خاصة تخالف المعاني التي يفهمها الصعيديون وإن كانت في الكلمة الواحدة.

References: المراجع:

Al-Ḥamlāwī, Aḥmad, *Shadhā al-'Arf fī Fann al-Ṣarf* (Beirut: Manshūrāt al-Maktabah al-'Ilmiyyah al-Jadīdah, no date).

Al-Bayhaqī, Abū Bakr Aḥmad bin al-Hussayn bin 'Alī, *al-Sunan al-Kubrā*, ed. Muḥammad 'Abd al-Qādir 'Aṭā (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 3th edition, 1424/2003).

Al-Bukhārī, Muḥammad bin Ismā'īl, *al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ* (Cairo: al-Maktabah al-Salafiyyah, 1st edition, 1400).

Al-Burhānfūrī, 'Ala al-Dīn 'Alī al-Muttaqī bin Ḥusām al-Dīn al-Hindī, *Kanz al-'Ummāl fī Sunan al-Aqwāl wa al-Af'āl,* corrected by Bakrī Ḥayyānī and Ṣafwah al-Saqā (Beirut: Muassasat al-Risālah, 5th edition, 1405/1985).

Al-Dāyah, Fāyiz, *'Ilm al-Dilālah al-'Arabī bayna al-Naẓariyyah wa al-Taṭbīq* (Damascus: Dār al-Fikr, 5th edition, 1427/2006).

Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad bin Muḥammad, *al-Mustaṣfā min 'Ilm al-Uṣūl* (Qumm: Manshūrāt al-Sharīf al-Raḍī, 2nd edition, 1322).

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Abū al-Qāsim al-Hussayn bin Muḥammad, *al-Mufradāt fi Gharīb al-Qur'ān,* ed. Muḥammad Sayyid Kaylānī (Beirut: Dār al-Marifah, no date).

Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad bin 'Umar bin al-Hussayn, *al-Maḥṣūl fi 'Ilm al-Uṣūl*, ed. Ṭāhā Jābir Fayyāḍ al-'Alwānī (Beirut: Muassasat al-Risālah, 2nd edition, 1412/1992).

Al-Suyūṭī, 'abd al-Raḥmān Jalāl al-Dīn, *al-Muzhir fī 'Ulūm al-Lughah wa Anwā'ihā,* ed. Muḥammad Aḥmad Jād al-Mawlā Bek and others (Cairo: Dār al-Turāth, 3rd edition, no date).

Al-Taftāzānī, Sa'd al-Dīn, *Shurūḥ al-Talkhīṣ* (Beirut: Dār al-Surūr, no date).

Anīs, Ibrāhīm, *Dilālat al-Alfāẓ* (Cairo: Maktabat al-Anglo al-Miṣriyyah, 5th edition, 1984).

Faḍl, Ṣalāḥ, *'Ilm al-Uslūb: Mabādi'uhū wa Ijrā'ātuhū* (Cairo: Muassasat al-Mukhtār li al-Nashr wa al-Tawzī', 1992).

Hassān Tamām, *al-Lughah al-'Arabiyyah: Ma'nāhā wa Mabnāhā* (Cairo: 'Ālam al-Kutub, 6th edition, 1430/2009).

Ḥassān, Tamām, *al-Tamhīd fī Iktisāb al-Lughah al-'Arabiyyah li Ghayr al-Naṭiqīn Bihā* (Makkah al-Mukarramah: Umm al-Qurā Univesity, 1984).

Ḥijāzī, Maḥmūd Fahmī, *al-Usus al-Lughawiyyah li 'Ilm al-Muṣtalaḥ* (Cairo: Dār Gharīb li al-Ṭibā'ah wa al-Nashr wa al-Tawzī', 1992).

Ḥusām al-Dīn Karīm, *Uṣūl Turāthiyyah fī 'Ilm al-Lughah* (Cairo: Maktabat al-Anglo al-Miṣriyyah, 1st edition, 1985).

Ibn Fāris, Abū al-Hussayn Aḥmad Zakariyyā, *Mu'jam Maqāyis al-Lughah* (Beirut: Dār Iḥya' al-Turāth al-'Arabī, 1st edition, 1422/2001).

Ibn Fāris, Abū al-Hussayn Aḥmad, *al-Ṣāḥibī,* ed. Aḥmad Ḥasan Basj (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st edition, 1997).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ 'Uthmān, *al-Khaṣā'is,* ed. Muḥammad 'Alīi al-Najjār (Cairo: al-Maktabah al-'Ilmiyyah, no date).

Ibn Manzūr, Muḥammad bin Mukaram, *Lisān al-'Arab*, ed. 'Abd Allāh 'Alī al-Kabīr et al. (Cairo: Dār al-Ma'ārif, no date).

Ibn Qutaybah, *Ta'wīl Mushkil al-Qur'ān*, ed. As-Sayyid Aḥmad Ṣaqr (Cairo: Dār al-Turāth, 2nd edition, 1973).

'Abd al-Jalīl, Manqūr, *'Ilm al-Dilālah: Uṣūluhū wa Mabāhīthuhū fi al-Turāth al-'Arabī* (Damascus: Ittiḥād al-Kuttāb al-'Arab, 2001).

'Abd al-'Abbūd, Jāsim Muḥammad, *Muṣṭalahāt al-Dilālah al-'Arabiyyah: Dirāsah fi Ḍaw' 'Ilm al-Lughah al-'Arabiyyah* (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st edition, 1428/2007).

'Umar, Aḥmad Mukhtār, *'Ilm al-Dilālah* (Cairo: 'Ālam al-Kutub, 5th edition, 1998).

Ṣīnī, Maḥmūd Ismā'īl, *al-Taqābul al-Lughawī wa Taḥlīl al-Akhṭā'* (Riyadh: King Saud University, 1st edition, 1982).

Qaddūr, Aḥmad Muḥammad, *Madkhal Ilā al-Lughah al-'Arabiyyah* (Cairo: Dār al-Fikr al-Mu'āṣir, 2nd edition, 1993).

Salām, Muḥammad Zaghlūl, *Muḥāḍarāt fi al-Balāghah al-'Arabiyyah* (Alexandria: Dār al-Ma'rifah al-Jāmi'iyyah, 1993).

Shaḥīḥ, 'Abd al-Ṣabūr, *Fī 'Ilm al-Lughah al-'Ām* (Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 4th edition, 1984).

Wāfī, 'Alī 'Abd al-Wāḥid, *Nashat al-Lughah 'Inda al-Insan wa al-Ṭifl* (Cairo: Dar Nahdah Misr li al-Tibaat wa al-nashr, 1st edition, 1947).

Wāfī, 'Alī 'Abd al-Wāḥid, *al-Lughah wa al-Mujtama'* (Cairo: Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabiyyah, 1st edition, 1946).

Wahbah, Majdī and al-Muhandis, Kāmil, *Mu'jam al-Muṣṭalaḥāt al-'Arabiyyah fī al-Lughah wa al-Adab* (Beirut: Maktabat Lubnān, 2nd edition, 1984).